# عندما تتجسّــد العظمــة امرأة

## الجَنَّةُ تتَزَيَّنُ لاستقبال الشهيدة العظيمة

**الأستاذ حسن التل رئيس**
**تحريــر(اللواء) الأردنيــة**

من كان يصدق أن تتشقق هذه الظلمة الحالكة التي تلفّ كلّ الأرض العربية ، عن غرسة ضياء تحقق كــل هــذا الانبهار .. ؟

ففي وهدة الانحطاط العربي ، حيث هانت كرامات الرجال وتقهقرت قيم الأمة أمام البغي الذي اجتاح عاصــمة الحضارة العربية ، يرتفع صوت بنان العطار الطنطاوي من أرض الغربة ليؤكد أصالة أمتنا التي ما زالت أقوى من كل الخناجر والشظايا التي تختلط بلحوم أبداننا .. ؟

امرأة مسلمة ، وفي أرض غريبة وبعيدة ، تتألق في الظلام كأنها كوكب دريّ ، تجتاز كــل الحفــر والخنــادق والحواجز وترتفع فوق كل الأكداس وتكسر كل النصال ، لتؤكد حقيقة أمتها التي ستبقى دائماً قادرة علــى إفــراز البطولات القادرة على التحدي .

أجل إنّ هذه الفترة الحالكة في تاريخ الأرض العربية لم تعدم القدرة على العطاء .. فمن بعيد جاء التحدي هــذه المرة (لطوابير الغدر وأدوات الخيانة رغم ما تملك من الظلم والظلام) على شكل امرأة اسمها بنان العطار الطنطــاوي تسقي الأرض التي جفّت ، بدمها العزيز الغالي الذي نزف بيد غادرة خسيسة ، وبتدبير لئــيم حاقــد أراد شــيئاً ، وكانت إرادة الله على غير ما أراد الجبناء –وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال– .

إنّ دم بنان العطار الطنطاوي جاء شهادة اعتزاز لجيل بأكمله ، ودلالة عظمه لدين ستبقى دائماً أكبر من كــلّ التحديات ، وشارة فخر لدعوة ما زالت هي وحدها دلالة الرفض لجحافل الغزاة الذين جاسوا خلال الديار ..

من رفض انحناءة الظهر في عصر لم تنتصب فيه قامة لرجل أو امرأة ، إلاّ أولئك الذين لاذوا بإيمــانهم وقــالوا في وجوه الجبارين على لسان أحد عظمائهم (إني أسجد لهذا الإله مرة ثم أنظر من علٍ لأحتقر الجبارين في الأرض)

إنّ بنان العطار الطنطاوي أستاذة في مدرسة امتازت بالقدرة على إنجاب البطولات وتقديم التضحيات ، في عصر اهتزت فيه كل المدارس والمعاهد والجامعات ، وأصبحت مباحة لغزاة الفكر والقيم والسلوك .

بنان العطار الطنطاوي شاهدٌ وأيّ شاهد على عصر وجيل ومنهاج ، وهي ظاهرة التحدي المتفوق علـــى كـــل الجحافل الهمجية التي أرادت أن تطفئ نور الله ، ولكن الدم الزكي الذي رعف من الجسد الممزق برصاص البغـــاة ، هو الذي استجاب لدعوة الله فبدد حلكة الليل ، وأكد أصالة الأمة وقدرتها على التحدي رغم شراسة الطغاة ووعورة المسالك

إنّ بنان العطار الطنطاوي التي جسدت العزة والتضحية والفداء بذلك الاختيار العظيم منهجاً وسلوكاً وخاتمـــة ، أرادها الله شاهداً وشهادة لهذه الدعوة في هذا العصر ، تماماً كما كانت سمية شاهدة وشهيدة للطليعة المسلمة في وجه الجاهلية العربية الأولى .. ؟

أنا أعلم أن الجسد المعفر بالدم الذي سقط برصاص البغاة كان حافز تحدٍّ عظيم لابنها أيمن وأخت أيمن ، كـــان راحة كبرى لأبيها الشيخ الجليل العالم الأستاذ علي الطنطاوي الذي أنجب بناناً ورباها على الفداء والعطاء ..

أما الزوج الكبير ، أما عصام العطار ، فقد كان دم زوجته النازف على أرض بيته في ديار الغربة شهادة اعتـــزاز ووسام عظمةٍ وصدقِ وسلامةِ نهج .

من كان يصدق أن عصر الهزيمة والضياع والانحطاط والتخلف يفرز كل هذه العظمة فتكون النساء فيه أحـــرص على اختيار الموت العزيز المتأبّي من ملايين أشباه الرجال الذين هم أحرص على حياةٍ مجبولة بكل ألوان الذلّ والعـــار والهوان .. ؟

يا تاريخ هذه الأجيال المنكودة حَذارِ أن تنسى دفعة الضياء التي شحنتها دفقة دماء بنان بهذه الطاقة الـــضخمة ، التي أكدت عظمة هذه الدعوة ، التي انفجرت إعصاراً مقدساً في وجه جحافل البغي ، لتنتصب عزيزة متأبية تتقـــدم صفوفها الأولى النساء قبل الرجال ، تغذي إرادة الحياة وتجود بالنفس في سبيل الله ، وتعطي عطاء حضاريا لا يعرف تفرقة الأجناس ولا غدر الطوائف ولا لؤم الشعوبية

حَذارِ أن تنسى يا تاريخ أن هذه الدعوة وحدها هي القادرة أن تقول لا للطغاة مهما كانت قـــسوتهم وظلمهـــم وفجورهم ..

فالحركة الإسلاميّة وحدها هي التي رفضت انحناءة الظهر أمام كل الطواغيت حيثما كانت وكـــانوا ، والعـــصر الحديث شاهدٌ كما كلُّ العصور ، فالإسلام وحده هو الذي تجسد عزةً ورفضاً في وجه كل طاغية حيثما كان .

أمس قضى شهيداً سيد ويوسف وعبد القادر وفرغلي ، واليوم تزينت الجنّة لاستقبال بنان وإخوان بنان وليس غير مدرسة الإسلام استطاعت أن تثبُت للتحدي ، وليس غير الإسلام قادراً على التغيير .. ويا أيتها الأيام القادمة بكل ما فيك من بلج يجتاح سواد أيامنا وعفونة واقعنا فإن بناناً بنت علي الطنطاوي وزوجة عصام العطار هي التي تقـــدمت الصفوف لتزيح العتمة وتشعل مصباح الضياء ..

أجل إنها والله فرحة وإنها والله مدعاة اعتزاز وإنها والله شهادة الصدق على سلامة المنهج وصدق الإرادة .

أجل أسهل أن يحيا الإنسان حياة الرفه وما أرخص أن يعيش المرء في زمرة الجبناء .. بل ما أكثر هذا الغثاء الذي يتراءى بشيء ويكتم في أعماقه الهزيمة والمهانة والعار رغم كل الرياش والمظاهر الكاذبة التي يحاول أن يخدع بها نفسه .. إنّ الحياة الذليلة لا تحسب في عداد عمر الإنسان الكريم .. لأن عظمة الإنسان تبرز في اختياره لطريقة وثباته عليها ، وقدرته على اختيار موته بنفسه متجاوزاً للرعب ، مترفعاً عن المصلحة العارضة ، يتقدم الصفوف نداء لفكره بنفسه .. لأنه الوسيلة الوحيدة التي تؤكد عظمة الاختيار والمختار ..

وبعد فما أكثر الخواطر التي تجول في الصدر .. فيها دماء بنان الطنطاوي العطار إنك رفد الحياة لدعوة الإســـلام التي لا تتغذى إلاّ بالدم ، فبورك ذلك الجسد وبورك الوالد والوالدة ، وبورك الزوج والابن والبنت والحفيدة ..

فأنتم المشاعل وأنتم الشهود على دعاة الإسلام الحقيقيين الذين يعطون ويرفضون المثوبة إلاّ من الله ، والله تعـــالى مع الذين صدقوه وصدق الله العظيم : ﴿ ... **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : ٤٠] .

وما أظن أن بيننا وبين النصر إلا أياماً ، هم يرونها بعيدة ونحن نراها قريبة قريبة ..

إنها تلوح بالأفق تتقدمها دماء بنان العطار الطنطاوي وكأنها شعاع الشمس قبل أن ينشق عنها الأفق تلوح بتباشير النصر

فالإسلام اليوم اجتاز مرحلة الضياع ، لأن نساءنا تغذيه بالدم قبل الرجال والشباب الزغب يـــسبقون الكهـــول للفداء ..

وأنت يا ابنة الطنطاوي وزوجة العطار وأم أيمن هنيئاً لك هذه النهاية فقد تجسدت فيك عظمة الداعيـــة العزيـــزة المترفعة ، فأنت وحدك من بين كل النساء كانت لك هذه النهاية العظيمة

فطوبى لك داعية عظيمة ..

وطوبى لك شهيدة غريبة ..

وطوبى لك يا ربيبة العلم ..

وطوبى لك يا ربة الأسرة المجاهدة ..

طوبى لك هذه النهاية التي كانت لهج لسانك دائماً إلى الله

طوبى لك فقد جسدت يا أم أيمن العظمة امرأة ..